طارق ابراهيم وأربع حركات للحفاظ على التوازن

سهيل سامي نادر

في بداية الثمانينيات عرض الفنان طارق ابراهيم منحوتة خزفية بنسيج متعدد تكاد تمثل صليبا مجوّفا قصير الذراعين. المفاجأة أنه قام بثقب قمة العمل، ثم أكده بلون مختلف. و من دون أن أنكر على الفنان حقه في اللعب و الاستمتاع المباشر، بدا لي أنه أراد بهذا الإجراء إعادة انتاج أفواه الجرار التي كان يجيد إظهار شهوانيتها قديما على جسد نحتي، و لعله فعل هذا مدفوعا بإلحاح التلصص على بطانة التجويف. إن مثل هذه المفاجآت و الإلحاحات متوفرة في أعمال الفنان كافة.

قد نجد نظيرا لهذا المثال في المعرض الحالي: كل انتفاخ يترصع بانثنائة الى الداخل. الرغبة في الدخول الى عتمة ما. أكثر من هذا ثمة تفريغ كامل، جاء منتظما هذه المرة، ينفذ نظرنا منه الى بطن أجوف.

المثال الآخر مختلف و استثنائي، ففي معرضه (مدن الخيال١٩٩٧) جمع الفنان الجرار و المدن معا، أي أنه جمع المجرد من الأشكال الوظيفية و أهواء التمثيل و الايحاء. و بجرأة قد تبدو مغامرة، صنع جرارا كسر أفواهها موسعا الرؤية الى أبنية مثيرة ذات شبابيك و سلالم تقبع في القعر. ههنا صنيع خزفي يتمادى في التمثيل يترابط مع شكل وظيفي معروف و يقترح علينا جمع تركيبته الفنية والدلالية. دعونا ندقق: الجرار صنيع الخزاف التقليدي احتوت عملا بنائيا مبتكرا تأسس على نسق تقني مستقل. الاثنان تولدا من اجراءين مختلفين، فإذ تكوّر الأولى على عجلة الخزافين القديمة، تبنى الثانية على و فق مخططات واقعية أو خيالية من الصعوبة تصنيفها فنيا على مستوى الخزف الذي هو فن مجرد.

أسوق هذه الأمثلة لإيضاح النزعة التأليفية للفنان التي تجمع عناصر مختلفة، و تسترجع تذكارات من تجارب سابقة، و تحافظ على توتر يجري توزيعه أو تبديده بموازين جمالية، و توليد أشكال و علاقات لونية و شكلية توحي بالعاطفة.

يمكن عدّ المعرض الحالي انموذجا على مثل هذا التأليف، فقد دفع فيه الفنان تجربة عام ١٩٩٩ ذات النقاء الشكلي الى مستوى جديد من الاختزال و التحوير و إخفاء الشكل الوظيفي بمناورات شكلية جمالية، و زاد عليها بتوليد أشكال جديدة ذات مضامين عاطفية و جنسية.

لكن الفنان يفاجئنا بتجربة جديدة و غريبة عن التقاليد التي اتبعها حتى الآن، تلك هي استخدام الكتابة و الحرف العربي. نشير في هذا الشأن الى أن الخزافين العراقيين و العرب اعتادوا على مثل هذا التوظيف ضمن أفق ثقافي مباشر، ولعلهم اعادوا إنتاج تقاليد سادت في المنطقة تصبح فيه سطوح الخزفيات على أنواعها منطقة نفوذ للتعابير الحرفية و الكتابية. إننا نرى هذه التعابير جزءا من لعبة النقوش و أعمال التزجيج اللوني التي تهيمن على سطوح الأعمال الخزفية. أما عند الفنان طارق ابراهيم فالوضع يختلف. فقد قاوم دائماً كل ما يبهض كاهل سطوح الخزف و يحوّل الانتباه من بساطة التكوين وجوهرية الشكل-وهو ما يعتقد أنه يمثل الخزف المعاصر-الى تلك المتاهة الملتبسة المتكونة من المرجعيات الثقافية والإغراءات المباشرة للون و مبالغات التزجيج.

ما الذي حدث إذن؟ إنه لم يخنِ اعتقاداته الأصلية كما أرى، بل مرر الكتابة والحروف كجسد خزفي منفصل، ووظفها كنسيج مختلف و أشكال لها و ظيفة جمالية متكاملة مع التكوينات و الأشكال الأصلية. و في ما عدا الحروف التي فصلها من أي علاقة فبدت كيانا نحتيا منفصلا، و تلك نماذج لها وضعها الخاص، وظف الفنان حركية الحروف لكسر استقرار التكوين، فضلا عن فتح التكوين باللون المضيء والشفاف للحروف. وفي كل الأحوال كانت تشكيلات الحروف تجد لها مكانا خاصا سمح به التكوين ومنطقه البنائي. وتلك المناورة الجمالية هي وحدها التي سمحت للفنان بتمرير عناصر غريبة عن اسلوبه.

في أكثر معارض الفنان طارق ابراهيم أهمية نجد عددا من الحركات لكل منها منطقها الخاص: حركة تستعيد الشكل الاستعمالي وتجري تحويرات وحذوفات واضافات عليه، حركة تذهب الى النحت و أعمال البناء، حركة تمثل أشياء واقعية و خيالية ذات مراجع، حركة تجمع عناصر من أعمال سابقة و تصوغها في تكوينات جديدة.

تلك هي باختصار زاوية رؤية اقترحها لفهم الشخصية الفنية لطارق ابراهيم - فنان انتمى للجدل، و لاختراق التقاليد و العودة اليها ظافرا. فنان أمسك بميزان لايني يتمرجح في يديه من دون أن يخسر مكتسباته.

أمطار النار..البداية الثانية للدراما العراقية

د.أثير محمد شهاب

مستقبل الدراما العراقية لا يبشر بخير،ما دام من يأخذ على عاتقه تفعيل هذه الدراما هو خارج العراق (صورة،مشهدا، كاميرا، جسدا، واقعا)، وبالنتيجة...فالمشهد الذي يبتعد عن الواقع المراد يصعب استنساخه بادعاء ان المشهد عراقي.

السبب المركزي الذي يقدمه المخرجون في الابتعاد عن العمل داخل العراق هو الوضع الأمني وهم محقون في ذلك، والابتعاد بالنتيجة سوف يضع مجموعة عراقيل أمام المخرج..على سبيل المثال مشهد لملاحقة أمنية...المخرج بلا شك الذي يقطن سوريا أو الأردن يحتاج إلى مجموعة من المركبات (مشهد الملاحقة) التي تحمل لوحة عراقية...مثلا...العراق بغداد...الموصل...كربلاء...الرمادي.... والمشهد الذي يحتاج فيه إلى تاكسي لابد من ان يختار ما يناسب سيارة التاكسي من لون مطابق لما موجود في العراق،والمخرج الذي يحتاج إلى كومبارس لديه بعض الخبرة في مجال التمثيل لا يستطيع إلا أن يلجأ إلى الإنسان البسيط سواء كان سوريا أم أردنيا من اجل تسجيل مشهد.

المفصل المركزي...

الأفق الجغرافي الذي يتميز العراق به أمام بقية الدول العربية الإقليمية التي تتميز بالطابع الجبلي هو الذي يدعونا إلى ادراك صعوبة المقارنة بين الفضاء العراقي وبقية الدول العربية..

الخلاصة...

الواقع الذي نسعى إلى نقل ملامحه هو غير الواقع الذي نتحدث عنه...

أي عذاب هذا:

المخرجون أدوات بيد الفضائيات..والفضائيات صور مشوهة لوضع عراقي مشوش...وما بينها خراب ودمار وتأجيج لوضع...على سبيل المثال:الشرقية وغيرها في اغلب أعمالها تسعى إلى رسم حدود الجريمة..وهي بذالك توفر للمجرم مناخ اللعب...وتحرض الطوائف على الاقتتال..

هل ثمة مخرج:

هيأة الإعلام والبث هي المسؤولة عن حرمة الدم العراقي..وهي معنية بمراقبة الوضع وما تقدمه الفضائيات من سلوك غير متحضر...والمسؤولية التي نتحدث عنها لا تعني بالضرورة مراقبة ديكتاتورية لسلطة الإعلام،ولكن إبعاد الفضائيات عن مس الإنسان العراقي وما قد يؤول البث الفضائي من تأجيج لوضع.

سنوغرافيا غير متوقعة:

على طول الخط ودائما تقدم فضائية البغدادية – مشكورة- بعض المسلسلات التي تقترب في جانبها العملي من الحقيقة، وذلك من خلال فضح سلوك البعث الصدامي في التعامل مع أهل العراق،وان كان عدم التصريح هو الفاعل في المسلسل، وهي طريقة ذكية في تفعيل الجمالي على حساب المباشرة،ولكن....هل يفهم المواطن العربي شخصية (صبيح) في مسلسل أمطار النار التي تتطابق مع الصورة العامة لأغلب مؤسسات البعث.

والكشف عن أخطاء البعث لا يتمثل من خلال مسلسل أمطار النار كبداية ثانية كما قلت في العنوان، وإنما مع ما قدمته الفضائية نفسها في السنة الماضية من مسلسل السرداب-البداية الأولى- الذي يكشف هو الاخر عهر الممارسة البعثية.

سعى المؤلف صباح عطوان من خلال أمطار النار إلى بيان ما تعرض له أهلنا في الاهوار من ظلم وتعسف،مستعينا بما تقدمه البيئة الاهوارية من فضاء مائي،حيث الإنسان –هنالك- يبتعد عن استخدام مفردة المشي لان المياه من حوله، لذلك وساطة النقل تتم عبر الزورق الذي يطلق عليه بالزيطة.

تم تصوير المسلسل في محافظة ذي قار قضاء الجبابش (٩٠ كم جنوب شرق الناصرية) إخراج عزام صالح.

المدة التي سعى إلى تقديمها الكاتب صباح عطوان هي الثمانينيات، بمعنى الحرب العراقية الإيرانية وما تتضمنه هذه المرحلة من إشكالات على الجانب العسكري والأخلاقي والاجتماعي....

نقل صورة بيئة مائية يحتل القصب فيها الفضاء،هذا الفضاء الذي لم يسبق لمسلسل عربي ان قدمه بهذا الأداء،وهو يضعنا في موقع الاعتزاز بسحر الأرض العراقية.

هذا الامتياز هو الذي حفظ للمسلسل دور الريادة في اصطياد فضاء سنوغرافي بعيد كل البعد عن البيئة العربية الصحراوية.....

المسلسل سعى منذ بدايته إلى تقديم الاهواريين بطريقة تهشم صورة ما كان ينقله النظام السابق عن أهل الاهوار، واعتقد انها ميزة تحسب للمؤلف،مع ذلك ثمة ملاحظات لا يمكن السكوت عليها في ظل تقييم الحرب العراقية الإيرانية ومن كان يقف خلف ذلك، فعلى سبيل المثال شباب عائلة صكبان المكوطر الممثل عبد الستار البصري في المسلسل، رفضوهم لأنهم بحسب قول الممثلة زوجة عمهم (افرارية)،واعتقد استخدام مفردة (الافرارية) في المسلسل يصعب قبولها،لان الشخص الذي يرفض دخول الحرب لا يمكن توصيفه بالشخص الشاذ،ومن جانب اخر تم استخدام كلمة العدو الإيراني لأكثر من مرة،وهذا استخدام لا يمكن قبوله-مرة أخرى- بافتراض ان بعض الناس من الإيرانيين هم أبرياء مثل أهلنا في الاهوار.

نوماس بطل مسلسل (كاظم القريشي) وجه عراقي جديد يستحق الاحترام:

لم أكن احسب ان يكون في العراق شخصية بهذا الأداء المتميز مثلما قدمه الممثل نوماس،وإذا كان ثمة فضل يحسب لهذا المسلسل هو ضخ الوسط الإبداعي العراقي بوجوه عراقية اعتقد انها تستحق ان تكون في مستوى عالمي.....الصوت....سلامة اللفظ...الحركة.....ملامح الوجه....الطول...كل هذه المقومات أظهرت الفنان (كاظم القريشي) نوماس بمستوى متميز،من جانب اخر أسهم نوماس الشخصية البطلة التي انتهت وسط العمل في خلق شخصية مهمة هي الأخرى لم أكن احسبها ستكون بهذا المستوى في هذا العمل وهي الشخصية مرام (ميلاد سري).

اولاد المكوطر:

هل بالإمكان ان نُحمّل عائلة صكبان المكوطر كل هذا الذي حدث...وهل يحق لنا ان نعاتبهم على ما خلفوه من أحداث...أيحق لنا ان نوصف أولاد المكوطر بالجرم (ياسين ورافع وموزة)....يبدو لي ان الحق والباطل في الفلم يتخذ صورة هلامية...بحيث لا نستطيع ان نعترض على كلام ياسين وهو يلوم الحكومة على ما أوصلتهم إليه...مشهد شائك لأناس شتتتهم الحرب وخونتهم السلطة.

رسليّة والتحول الكبير:

ظهرت نجلاء فهمي (رسليّة)بصورة بنت الهور التي تحب وتعشق،وبعدما يخونها الحبيب تهرب إلى بغداد..وهي إشارة غير مباشرة إلى أن ما حدث في الاهوار كانت له عواقبه الاجتماعية الكبيرة...وعزز هذا ما حدث لموزة (عواطف السلمان) عندما نزلت إلى السوق للبيع والشراء.

تشتت بنات الهور في بغداد أفضى إلى أن يقترب الانتهازيون منهم(مطر،صبيح)، ولقد ظهر مطر (سامي قفطان) كشخصية قلقة تشك في كل شيء.

لين يوتانغ .. كاتب الصين الأول

ترجمة: فضيلة يزل

كاتب وفيلسوف ومترجم وشاعر صيني (١٨٩٥-١٩٧٦)، ألف أكثر من ٣٥ كتاباً باللغتين الأنكليزية والصينية، وأوصل كلاسيكيات الأدب الصيني الى القراء الغربيين.

في عام ١٩١٩، عندما كان لين في عمر الثالثة والعشرين، حصل على زمالة دراسية بنصف اجر للدراسة في جامعة هارفرد في كامبرج، ماسوشوستس. تزوج في هذا الوقت وانتقل مع زوجته الى الولايات المتحدة. في هارفرد عمل للحصول على شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن وعدّ عالماً واديباً ومحرراً امثال اساتذته؛ المحرر بلاس بيري، والعالم الأنساني ارفنغ بابيت كما قورن لاحقاً بـ "تي. أس. أليوت، وقد احدث لين تأثيراً كبيراً في طلاب بابيت. وربما كان الكاتب الوحيد الذي اشاد ببابيت في احدى قصائده، إذ ذكره في قصائد السيرذاتية في كتابه "كاتب في الأربعين" الذي كتبه في الصين، وذكره بعد اربعين سنة اخرى في كتابه "مذكرات رجل ثمانيني".

لم يكمل لين دراسته للحصول على درجة عالية في جامعة هارفرد، وبدلاً من ذلك انتقل الى لي كريوسوت في فرنسا، للدراسة والعمل مع صينين آخرين لصالح اكاديمية الشباب المسيحية ((YMCA، يُعلم العمال الصينيين القراءة والكتابة. في عام ١٩٢١ قُبل في جامعة جينا في ليبزنغ، في ألمانيا، حيث حصل أخيراً على شهادة الدكتوراه ليعود الى الصين للعمل في التعليم حيث واصل عملة لمدة ١٣ عاماً. وقد كان استاذاً في الأدب الأنكليزي في جامعة بكين من ١٩٢٦.١٩٢٣ ثم عمل عميداً لكلية اموري عام ١٩٢٦،

مشاركته في الثورة الأدبية:

كان الحدث المعروف بحركة الرابع من مايس فاتحة لمنظور جديد عن الثقافة والأدب الصينيين. ففي مايس من عام ١٩١٩ تظاهر عدد من الطلاب والمثقفين في بكين، داعين الى الأحساس بالقومية ومناوءة الإمبريالية، وإجراء اصلاحات لغوية. كان لين جزءاً من حركة الأصلاح اللغوي، إذ كان يفضل إلغاء أسلوب الكتابة الصيني الرسمي القديم لصالح استخدام اللهجة المحلية، كما كان يدعم حركة الإنطباعية واتباع الفرد لمعتقداته الخاصة.

في غضون ذلك ظهرت له مجموعتان ادبيتان . وهما اللتان حافظتا على الأدب الذي كان اداة لنقل المسرحيات الأخلاقية والدعاية الحكومية، إذ كان لين يدعم الواقعية والمثل الإنسانية في الأدب، فأمثال لين هم الذين يعتقدون ان على الأدب ان يعكس التجارب الشخصية الخاصة للفرد.

لقد حقق لين رغبته في اعادة الإبتكار الأدبي خلال حياته الأكاديمية. ففي حوالي عام ١٩٢٤، كان احد الكتاب الأوائل الذين تحولوا الى أسلوب الكتابة الشعبية الجديدة في مقالاتهم. وعُدّ احد افضل كتاب المقالة المعروفين، وساهم في تأسيس المجلة المؤثرة يوسو. كتب لين العديد من المقالات الهجائية والتهكمية التي كانت مشحونة بالتهكم على عدم كفاءة وفساد الحكومة، وكتب مقالات تدعو الى التمرد والعصيان التي شجعت التفكير المستقل.

كتب لين مقالة ظهرت في إحدى الدوريات تحت عنوان" المحادثات العشوائية" وكانت مقتبسه من كتاب تاريخ الأدب الصيني لـ "أي منغ"، حيث قال فيها : " كل الشخصيات الفكرية المستقلة التي تحمل أراء شخصية ستصبح بوقت أو بآخر مسيئة، لكن هذه الإساءة هي بالضبط ما يؤكد كرامة العلماء، فالعالم الذي لا ينتقد كل شيء، لا يخسر سوى نفسه".

فيما بعد، انتبه أولئك الذين كانوا في السلطة لكتابات لين، وكان أحد اسياد الحرب ممن يتبعون السلطة كما "يتبع الكلب العظمة" الجنرال زهانغ زونغشانغ فقرر طرده الى خارج بكين. وفي عام ١٩٢٦، هرب لين مع اسرته ثانية الى أموي حيث شغل منصباً في جامعة اموري، ثم عمل سكرتيراً لوزارة الخارجية مع حكومة "وهان" في هانغو.

أسس مجلات شعبية ساخرة

من المحتمل ان يفقد لين حبه للتعبير عن ذاته في كتابة مقالاته منقباً عن صحف ومجلات يمكن ان تقبل كُتاباً جدداً وتنشر مقالاتهم. في عام ١٩٣٠، بدأ لين مع عدد من زملائه الذين يكتبون باللغة الأنكليزية في اصدار جريدة "ناقد الصين" ممن كانوا يركزون على القضايا السياسية والاجتماعية. لفتت هذه الجريدة انتباه العلماء الغربيين والمعلقين في نيويورك تايميز، فكانت كتابات لين موضعاً لنقاشاتهم.

في عام ١٩٣٢، أسس لين مجلة المقتطفات الأدبية التي تصدر مرة كل اسبوعين، مجلة ساخرة اتبعت الأسلوب الغربي الذي يشجع على الفردية. وكانت ناجحة دائماً، دفعت لين إلى الشروع في كتابة "هذا العالم الإنساني والريح الكونية" في عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ على التوالي. ابرزت هذه المجلات الكتابة المعاصرة التي تحتفي بالروح الإنسانية والمباهج اليومية.

لقد تأثر لين بنظيره الصيني تشوسو . جين وبكتاب غربيين منهم بنديتو كروس وجويل إلياس سبنغارن. وكان احيانا يوجه إليه الانتقاد لنقص في المعايير الثقافية لديه في خلق ادب حديث جاد، مفضلاً بدل ذلك الكتابة عن التجارب الشخصية والمواضيع الغريبة ؛ كالكتابة عن متعة تدخين البايب. على الرغم من ذلك، في عام ١٩٣٦، وفي مواجهة العدوان الياباني الوشيك على الصين خلال الحرب العالمية الثانية، التحق لين بالآخرين في اصدار بيان عن الدائرة الأدبية يدعو فيه الكتاب للوقوف معاً ضد قمع حرية الكلام.

طباعة ونشر أول كتاب له باللغة الإنكليزية.

في الصين، أقام لين علاقة صداقة مع الكاتبة الإمريكية بيرل سي. بوك التي حازت روايتها الهجائية (الأرض الخيرة) على الأعجاب الكبير، ولغرض تشجيعها ، قرر لين وضع كتاب عن الصين باللغة الإنكليزية خاص للقراء الغربيين. في عام ١٩٣٥، نشر كتابه "وطني وشعبي" وهو تصوير عميق للشعب الصيني والفكر الصيني. ترجم الكتاب الى عدة لغات، وهو الذي جعل من لين كاتب الصين الأول حتى وصل الى قمة أفضل المبيعات في صحيفة نيويورك تايميز.

انتقل لين للولايات المتحدة واستقر في نيويورك بعدما نشر كتابه "وطني وشعبي" الذي تبعه بذكاء كتاب "أهمية العيش" وهو بادرة "لمساعدة الذات" المعاصرة فهو كتاب مليء بالملاحظات الفلسفية، والذي حاز أيضاً على أفضل المبيعات الوطنية عام ١٩٣٨، ولين الذي أصبح تأثيره أقل بين الكتاب الصينيين، حصل على الرغم من ذلك على نجاح عالمي كبير بترجماته الإنكليزية للنصوص الصينية والمقالات التاريخية والروايات. فقد كان كاتباً غزير النتاج للسنوات الثلاثين التي تلت ذلك التاريخ.

كان لين يرى نفسه على انه "مواطن عالمي"، السفير الذي أوصل الثقافة الصينية الى الغرب، وهو الذي شجع على الاتصال بين الشرق والغرب. وقد حاز كتابه أعادة سرد القصص الصينية القصيرة المعروفة إطراءاً عالياً، إذ كان ترجمة لأدب الصين الكلاسيكي.

لقد اكتسب لين أيضاً سمعة سيئة لإبتكاره أسلوباً جديداً لجعل اللغة الصينية أكثر رومانسية ، كما قام بوضع فهرست بالشخصيات الصينية المتميزة.

يدافع لين باستمرار عن متعة الحياة، وحصل على سمعة التسكع وتشجيع السعي لحياة الدعة والراحة وتناول الطعام والتدخين والأسترخاء، فكتابه "أهمية العيش" يتضمن ملاحظات عن متع الحياة البسيطة والسعادة الروحية. إذ تتضمن اقتباساته الفلسفية العديدة في الكتاب: "إذ كان بوسعك تبديد وقت ما بعد الظهيرة عديم الفائدة جداً بطريقة عديمة الفائدة جداً، لو تعلمت كيف تعيش" والشيء الأكثر حيرة حول الإنسان هو فكرته عن العمل ومقدار العمل الذي يفرضه على نفسه، أو الثقافة المفروضة عليه، كلها أمور تعمل الطبيعة على تضيعها في فرض البطالة، في حين يعمل الإنسان وحده من اجل العيش.

لين يوتانغ